﴿قَالُوٓاْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩﴾ [الأنبياء: 59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

صدمة فإنكار فاتّهام

لمّا عاد قومُ إبراهيمَ ﷺ من عيدهم فوجدوا آلهتَهم المُزيَّفة على تلك الحالة من الكَسْرِ والحَطْم؛ علموا أنَّه لا بدَّ لهم عند ذلك من أمرٍ هائل؛ فاستُؤنفَ الإخبار عنه بقوله: ﴿قَالُوٓاْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ استئنافًا بيانيًّا؛ فقرَّروا أنَّ صاحبَ تلك الفِعلة من الظّالمين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِـَٔالِهَتِنَآ﴾: (أله) أصلٌ واحد، وهو التَّعبُّدُ، فالإلهُ: اللّهُ تعالى، وسُمّيَ بذلك؛ لأنَّه معبودٌ، ويُقال: تألَّهَ الرَّجلُ إذا تعبَّد، وخُصَّ (إلهٌ) بالباري تعالى ولتخصُّصه به، قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: 65]، و(إلهٌ) جعلوه اسْمًا لكلِّ معبودٍ لهم كما قالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾[1].

2) ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (ظلم) يظلِمُ ظُلمًا، والظُّلمُ: وضعُ الشَّيء في غير موضعِه المُختصِّ به، وأعظمُ الظُّلم الكفرُ والشّركُ والنِّفاقُ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13]، وقوله: ﴿لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أيْ: بفعله تكسير الأصنام، مُتجاوزًا به الحدَّ[2]، فهو الظلمُ اللغويُّ، ويصحُّ أنْ يُلْحَظَ فيه المعنى الاصطلاحي؛ أيْ: إنَّ القرآنَ أراد الإلماح إلى أنَّ مَنْ فعل هذا قد صار مُشركًا وكافرًا في معتقد هؤلاء القوم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مُـرودُ الظّالمينَ عـلى ظـلـمِـهـم يدفعُهم لاتِّهامِ مَـن خـالـفَـهـم بالظُّلم

حين رجع قومُ إبراهيمَ ﷺ من الاحتفال بعيدِهم، وشاهدوا ما فعله الخليلُ بأصنامِهم من الإذلال الدّالِّ على عدم إلهيَّتها وعلى سخافة

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (أله).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (ظلم).

عقول عابديها؛ قالوا مُستنكرين: من فعل هذا التَّكسيرَ والتَّحطيم بآلهتنا؟ إنَّه في صنيعه هذا من الظّالمين الَّذين تجاوزوا حدَّهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ الخبر بطريقة المحادثة ﴿قَالُوٓاْ﴾:

جاء الخبر بطريقة المحادثة بالسُّؤال في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ مبالغةً في إنكارِهم وتوبيخهم وتشنيعهم، حيث إنَّ تلك الآلهةَ المُزيَّفة بين أيديهم، وهم يَرَوْن ما أصابها من التَّكسير والإذلال؛ فإقدامُهم على إنكار تلك الفعلة الشَّنيعة في بصائرهم بالاستفهام واقعًا مقولًا لقولٍ لهم؛ يُشعر بقوةٍ بكمال اهتمامهم بتلك الأصنام وباعتقادهم فيها.

المبالغةُ في إنكارِهم لما فعله إبراهيمُ عليه السلام

إيثارُ اسمِ الموصول ﴿مَن﴾:

اسْمُ الموصول ﴿مَن﴾ يُستعمَلُ في الخَطْبِ الجلَل، والأمر الأهمّ، كأنَّهم قالوا: الَّذي فعل هذا الفعلَ الفاحشَ بآلهتِنا لشديد الظُّلم[2]، وهو اسم موصول عامٌّ، وإنَّما استعملوه - وإن كان قد سبَق وعدٌ مِن إبراهيم بفعل هذا - للتّنبيه على أنَّ ذلك عندَهم لا ينبغي أنْ يكونَ مِن أيِّ أحَدٍ على الإطلاقِ، ذَكَرًا كانَ أو أُنْثَى، عظيمًا كان أو حقيرًا، كبيرًا كان أو صغيرًا، وهكذا.

الدَّلالةُ على شناعةِ فعلِ إبراهيمَ في اعتقادِ قومِه

سرُّ التَّعبير بلفظ ﴿فَعَلَ﴾ دون (جذَذَ):

آثرَ النَّظمُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظ ﴿فَعَلَ﴾ دون (جَذَذَ)؛ لأنَّ ما قام به إبراهيمُ عليه السلام ليس مجرَّدَ تكسيرٍ وقَطْعٍ لتلك الأصنام المزعومةِ آلهةً من دون الله تعالى، وإنَّما هو فعلٌ ناشئٌ عن تصوّرٍ سابقٍ في ذهنِ إبراهيمَ عليه السلام وهو عقيدةٌ قائمةٌ على توحيد الله لا شريك له، وهم ما خاطبوه بتعبيرِ الفعلِ إلّا لعلمهم أنَّ ما أقامه

الفعلُ يسبقُه تصوُّرٌ، وله غرضٌ قائمٌ يسوقُ صاحبَه إليه

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 174.

(2) العُكْبَري، إملاء ما منَّ به الرَّحمن: 2/ 134، والبقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 439.

الخليلُ ﷺ على بُطلانها يُميلُ القلوبَ إلى اعْتقادِ أنَّ هذا الفعلَ حقٌّ لا رَيْب فيه[1].

دلالةُ الباء في: ﴿بِـَٔالِهَتِنَآ﴾:

بيانُ إلصاق الآلهة بقوم إبراهيم، أو إفادةُ أنَّ ما قام به إبراهيم مُلصَق بآلهتم

الباءُ في قوله: ﴿بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ للإلصاق؛ أيْ: مَنْ فعلَ هذا الأمرَ العظيم الشَّنيع بمَنْ هم خاصَّتنا من الآلهة؟! ويجوزُ أن يُرادَ أنَّ الفعلَ الَّذي قام به الخليلُ ﷺ مُلصقٌ بآلهتِهم لدرجة أنَّه أحْدثَ فيهم هذا الكَسْرَ والحَطْم[2].

سرُّ التعبير بلفظ الآلهة بعد أن صاروا جذاذًا:

في قولهم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ لم ينظروا إلى ذات الجذذ؛ لأنه لا يُطابق معتقدهم في الأصنام؛ وإنّما الذي يطابقه أن ينظروا إلى غاية الجذذ ومآله؛ من حيث إنه فعلٌ له غايةٌ خاصَّةٌ.

وقد عبَّروا عن الأصنام بالآلهة؛ ليُؤسِّسُوا على ذلكَ ما أرادوا بيانَه مِن عِظَم شناعةِ ما فُعِلَ بها، وأنَّهم فقهوا أنَّ ما فُعِلَ بها كان لقَصْدِ إثباتِ بطلان كونها آلهةً، وإلّا فلا حاجةَ إلى تكسيرها وتقطيعها مِن غير ملاحظة هذا.

فائدة الإضافة في: ﴿بِـَٔالِهَتِنَآ﴾:

المبالغةُ في تشنيع فعلِ إبراهيمَ بآلهةٍ جديرةٍ بالتَّوقيرِ بزعمِهم

أُضيف (إله) إلى ضمير المُتكلِّمين ﴿بِـَٔالِهَتِنَآ﴾؛ مبالغةً في تشنيعهم على إبراهيمَ ﷺ؛ بإفهام أنّ ما فُعِلَ بتلك الأصنام إنَّما فُعِلَ بهم؛ لانتسابهم إليها، فكانت الجريمة عندهم جريمتيْن، وفي هذه الإضافة تمهيد قويٌّ لما سيأتي بعدُ مِن محاكمتهم فاعلَ ذلك، وهو إبراهيم ﷺ؛ أيْ: مَنْ فعلَ هذا الكَسْرَ والحَطْمَ لشديدُ الظُّلم، معدود في الظَّلمة، إمّا لجرأته على الآلهة الحقيقةِ عندهم

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 439.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 61.

بالتَّوقير والإعظام، وإمّا لأنَّهم رَأَوْا إفراطًا في حَطْمِها وتماديًا في الاسْتهانةِ بها[1].

علَّةُ فصل جملة ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استئنافًا مُقرِّرًا لما قبلَه من إنكارِ الكَفَرَةِ الظّالمين فعلَ خليلِ اللّه عليه السلام من تكسيرِ أصنامِهم وتحطيمِها، فهو معدودٌ عندهم من جملة الظّالمين لجرأته عليه السلام على إهانة أصنامهم وإذلالِها وإذلالِ عَبَدَتِها، أو لإفراطِه في الكَسْرِ والحَطْم، وتماديًا في الاسْتهانة بها، أو بتعريضِ نَفْسِه للهَلَكة[2]، فمضمونُ هذه الجملةِ نتاجُ ما قبلها، ويلزم مضمونَها معنى الاستفهام من الإنكارِ التوبيخي وما يصحبه من معانٍ أخرى سبَق ذِكْرها؛ وإذن فبينهما كمال اتّصال معنويٍّ من نوع التّوكيد؛ فغابت الواو لذلك.

تقريرُ إنكارِ الكَفَرةِ لتكسير إبراهيمَ لأصنامِهم

نكتةُ توالي التَّوكيدات ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

ذُيِّلتِ الآيةُ الكريمة بتوكيداتٍ عديدة وهي: (إنّ)، و(اللّام) في ﴿لَمِنَ﴾، والتَّعريف باللّام في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ وهي تدلُّ على أنَّ القوم كانوا على غايةٍ خطيرةٍ من مكابرتِهم لعقولِهم، واعتقادِهم في آلهتِهم وتعظيمِهم لها ممّا جعلهم يُنكرونَ أشدَّ الإنكار فعلَ إبراهيمَ في تكسيرها حتَّى عدُّوه من جملةِ الظَّلَمَة المارقين والمُعتَدين المُخرِّبين[3].

المؤمنُ المُصلحُ يُعدُّ ظالمًا في نظرِ الكَفَرَة الظّالمين

دلالة حرف الجر في: ﴿لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

(مِنْ) في قوله عليه السلام: ﴿لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تحتمل معنَيَيْن؛ تبعيضيّة، أو تفسيريَّة بيانيَّة؛ أي: الَّذي فعل هذا الكَسْرَ والحَطْمَ بآلهتِنا إنَّه معدودٌ من جملة الظّالمين[4].

بيانُ صفة مَنْ كسَّر أصنامَ الكَفَرة فجعلهم جذاذًا

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/ 576، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 711.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 711، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 61.
(3) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/ 576.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 61.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الآلهة والأصنام:

الإلهُ: أَلَهَ فلانٌ يأْلَه الآلهة: عبَدَ، فالإلهُ هو الَّذي يحقُّ له العبادة، فلا إلهَ إلّا اللّه، وليس كلُّ معبودٍ يحقُّ له العبادة، فالأصنامُ معبودةٌ والمسيحُ معبودٌ، ولا يحقُّ له ولها العبادة، وسُمّيَ غيرُ اللّه إلهًا على وجه الضّلال، وهي تسميةُ العرب الأصنامَ: (آلهة)، وأمّا قولُ النّاس: لا معبودَ إلّا اللّه؛ فمعناه أنَّه لا يستحقُّ العبادة إلّا اللّه تعالى[1].

الإلــهُ المعـبـودُ بحقّ، والصَّنمُ معبودٌ بغيرِ حقٍّ

والصَّنَمُ: ما كان مُصوَّرًا من فضَّةٍ أو ذهبٍ أو غير ذلك[2]، كانوا يعبُدونها مُتقرِّبين به إلى اللّه تعالى، وجمعُه أصنام، قال تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: 74]، وكلُّ ما عبد من دون اللّه؛ بل كلُّ ما يشغلُ عن اللّه تعالى يُقال له: صنَم، وعلى هذا الوجه قال إبراهيمُ صلواتُ اللّه وسلامُه عليه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: 35]؛ أي: اجْنُبْني عنِ الاشتغالِ بما يصرِفُني عنك[3].

الظّالم والكافر:

أصلُ الظُّلم: نقصانُ الحقّ، ونقيضُه: الإنصاف، والظُّلمُ: وضعُ الشَّيءِ في غير موضعِه المختصِّ به، إمّا بنقصانٍ أو زيادة، وإمّا بعدولٍ عن وقته أو مكانه، والظّالمُ مَن قام بذلك، والكافرُ والمشركُ والمنافقُ ظالمٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 13]، والظّالمُ مَن ظلمَ النّاس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الشُّورى: 42]، والَّذي يظلمُ نفسَه يُسمَّى ظالمًا، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: 32]، وأعظمُ الظُّلم للنَّفس الكفرُ باللّه تعالى، وكلُّ الَّذي سبق ظلمٌ للنَّفس، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النَّحل: 33][4].

الظُّلمُ مفهومٌ عـامٌّ، والكفرُ أحـدُ أفـرادِه وأخطرُها

(1) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 68، والرّاغب، المفردات: (ألَه).
(2) العسكري، الفروق اللُّغويَّة: ص323، والكفوي، الكلِّيّات: 2/ 108.
(3) الرّاغب، المفردات: (صنم).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 172، والرّاغب، المفردات: (ظلم).

والكفرُ: سَترُ الشَّيء، وسُمّيَ الزّارع كافرًا لسَترِه البِذْرَ في الأرض، ومَن جَحَدَ النِّعمةَ يُسمَّى كافرًا؛ لأنَّه سترَ النِّعمةَ بتركِ أداءِ شُكرِها، وأعظمُ الكفر: جحودُ الوحدانيَّة أو الشَّريعةِ أو النُّبوَّة، ولذلك يُطلق اسْمُ الكافر على مَنْ لا إيمانَ له، والكفورُ في جحودِ النِّعمة أكثرُ اسْتعمالًا، والكفرُ في الدّين أكثر، والكفورُ فيهما جميعًا، قال تعالى: ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: 99][1].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 443، والرّاغب، المفردات: (كفر)، والكفوي، الكلّيّات: 4/ 12.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»